Comprehensive Journal of Science
Volume (10), Issue (38), (Dec, 2025)
ISSN: 3014-6266

مجلة العلوم الشاملة
المجلد (10) العدد 38 ديسمبر 2025
ردمد: 3014-6266

الأبعاد الفلسفية في قصة حي بن يقظان لابن طفيل

"دراسة تحليلية في المعرفة والوجود والإنسان"

د. لطفية علي محمد خميس

محاضر، كلية الآداب والتربية صبراتة، جامعة صبراتة، صبراتة، ليبيا

Lutfia.khamis@sabu.edu.ly

تاريخ الاستلام:2025/8/26 –تاريخ المراجعة: 2025/9/29– تاريخ القبول: 2025/11/6– تاريخ للنشر : 6/12/ 2025

ملخص الدراسة باللغة العربية

تشكل قصة حي بن يقظان لابن طفيل نموذجًا فلسفيًا رائدًا في التراث الإسلامي، يجمع بين المعرفة والوجود والأخلاق في إطار متكامل. تهدف هذه الدراسة إلى تحليل الأبعاد الفلسفية للنص، مع التركيز على البعد الإبستمولوجي، والأنطولوجي، والأخلاقي، واستكشاف منهجية ابن طفيل في بناء وعي الشخصية الرئيسة وارتباط المعرفة بالسلوك الأخلاقي، وفي البعد المعرفي، توضح الدراسة كيف يبدأ حي مساره من الملاحظة الحسية والتجربة الفردية، ثم ينتقل إلى الاستدلال العقلي وصولًا إلى الكشف الروحي والحدس الإشراقي، ما يعكس رؤية متدرجة للمعرفة تربط بين الحواس والعقل والروح. أما البعد الوجودي فيبرز الإنسان ككائن مزدوج الطبيعة، يجمع بين الجسد والنفس المفارقة، ويتدرج في فهم الكون من الظواهر الطبيعية إلى إدراك المبدأ الأول، في نموذج يوازي فلسفة العقل التدريجي وفلسفة الأشراق في الفكر الإسلامي، أما الجانب الأخلاقي يظهر نتيجة طبيعية لارتقاء المعرفة والوجود، حيث يرتبط الفعل الأخلاقي بالوعي، وتبرز أهمية الاعتدال والزهد والتحكم في الشهوات كوسائل لتحقيق صفاء الفكر والوعي الروحي. كما يعالج النص العلاقة بين الفرد والمجتمع، مشيرًا إلى ضرورة تنويع الأساليب الأخلاقية بحسب قدرة الأفراد على استيعاب الحقيقة، ما يعكس حسًا تربويًا وفلسفيًا متقدمًا، وتوصلت الدراسة إلى أن قصة حي بن يقظان ليست مجرد نص أدبي، بل مشروع فلسفي متكامل، يجمع بين العقل والتجربة والروح، ويساهم في فهم الإنسان لمكانه في الكون وعلاقته بالآخرين. كما تؤكد الدراسة أهمية النص في الفلسفة المعاصرة، سواء في فلسفة التربية أو فلسفة العلم وفلسفة الأخلاق، كأداة لتأمل العلاقة بين المعرفة والفعل الأخلاقي والتجربة الفردية والخبرة الجمعية.

الكلمات المفتاحية: ابن طفيل، حي بن يقظان، المعرفة، الوجود، العقل، الفلسفة الإسلامية.

Abstract

Hayy ibn Yaqzān by Ibn Ṭufayl represents a pioneering philosophical model within the Islamic intellectual tradition, integrating epistemology, ontology, and ethics into a unified conceptual framework. This study aims to analyze the philosophical dimensions of the narrative, focusing on the epistemological, ontological, and ethical structures, while exploring Ibn Dufay's methodological approach in shaping the protagonist's consciousness and linking knowledge to moral conduct. Epistemologically, the study highlights how Hayy begins his intellectual journey through sensory observation and individual experience, gradually moving toward

rational inference and ultimately ascending to spiritual unveiling and illuminative intuition. This progression reflects a hierarchical vision of knowledge that synthesizes the sensory, rational, and spiritual faculties. Ontologically, the text portrays the human being as a dual entity composed of the physical body and the transcendent soul, advancing in understanding the cosmos from natural phenomena to the realization of the First Principle. This model aligns with the concepts of the gradual intellect and Illuminations philosophy within the broader Islamic philosophical heritage. Ethically, the narrative demonstrates that moral action is the natural outcome of intellectual and existential elevation. Virtue is shown to arise from heightened awareness, with moderation, ascetic discipline, and control of desires functioning as essential mechanisms for achieving mental clarity and spiritual refinement. The text also addresses the relationship between the individual and society, emphasizing the importance of tailoring ethical guidance according to the varying capacities of individuals to apprehend truth—a reflection of Ibn Dufay's advanced pedagogical and philosophical insight. The study concludes that Hayy ibn Yaqzān is not merely a literary work, but a comprehensive philosophical project combining reason, experience, and spiritual intuition. It contributes significantly to understanding the human condition, the individual's place in the cosmos, and the dynamics of human relationships. Moreover, the narrative retains contemporary relevance in fields such as philosophy of education, philosophy of science, and moral philosophy, offering a rich conceptual lens through which to reflect on the interrelation between knowledge, ethical action, personal experience, and collective human development.

Keywords: Ibn Ṭufayl, Hayy ibn Yaqzān, epistemology, ontology, reason, Islamic philosophy.

مقدمة الدراسة

تشكل قصة حي بن يقظان لابن طفيل واحدة من الذرى الكلاسيكية في الفكر الفلسفي الإسلامي، لما انطوت عليه من بنية رمزية متعددة المستويات تسمح بقراءات متنوّعة تتقاطع فيها الفلسفة بالعلم، والميتافيزيقا بالتجربة الحسية، والتأمل الإشراقي بالاستدلال البرهاني. ويشير عدد من الدارسين إلى أن هذا العمل يمثل نموذجًا للكتابة الفلسفية الرمزية التي لم يسبق للأندلس أن شهدت مثيلاً لها من حيث العمق والتركيب (Smith, 2005).وقد ظهرت القصة في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، وهي فترة اتسمت بثراء فكري غير مسبوق في الأندلس، حيث تداخلت المعارف الطبية والطبيعية والرياضية مع الفلسفة المشائية والتصوف الفلسفي، وهو ما جعل البيئة الفكرية مهيأة لظهور مشروع فلسفي تركيبي كالذي قدمه ابن طفيل(Goodman, 1972 ؛ الغزالي، 1997).

اعتمد ابن طفيل في بناء قصته على المزج بين الملاحظة الطبيعية و التجربة النفسية و المعرفة الكونية، مقدمًا نموذجًا فريدًا للإنسان الذي ينشأ في عزلة تامة عن المجتمع. غير أن هذه العزلة ليست سلبية، وإنما

أداة منهجية لاكتشاف قوانين الوجود بعيدًا عن المؤثرات الثقافية واللغوية والاجتماعية. ويعدّ حي بن يقظان تجسيدًا لفكرة "الإنسان الطبيعي" الذي يستطيع عبر الحواس والتجربة الوصول إلى مستوى من المعرفة يتدرّج من المحسوسات إلى الكليات، وهو نمط معرفي يشير بعض الباحثين إلى قربه من التصورات المبكرة للمنهج العلمي الحديث.(Marquet, 2011)

تقدّم القصة أيضًا تصورًا فلسفيًا متكاملاً للوجود الإنساني؛ إذ يضع ابن طفيل الإنسان في قلب الكون باعتباره كائنًا قادرًا على بناء معارفه ذاتيًا، وعلى تجاوز محدوديات الجسد نحو سعة الروح. وقد تناولت دراسات عديدة البعد الأنثروبولوجي للنص، معتبرة أن ابن طفيل قدّم تصورًا متقدمًا للعلاقة بين الإنسان والعالم يقوم على مركزية الوعي في بناء الحقيقة (رضوان، 2014).

أما العلاقة بين العقل والوحي، فهي من أبرز محاور القصة. فحي ليس دعوة إلى الاكتفاء بالعقل، بل محاولة للفصل بين مستويات الإدراك، حيث يبين ابن طفيل أنّ الحقيقة واحدة، لكن طرق الوصول إليها متعددة. وقد أشار (1972) Goodman و (1996) Lernerإلى أن ابن طفيل نجح في تقديم نموذج فلسفي يثبت إمكان انسجام العقل مع الشريعة، وهو نقاش ظل حاضرًا بقوة في الفكر الإسلامي الوسيط.

وتتيح القصة مستويات واسعة للتأويل؛ فيمكن قراءتها من منظور معرفي بحثًا في تطور الوعي، أو تربويًا بوصفها نموذجًا للتعلم الذاتي، أو ميتافيزيقيًا في تحليل الوجود، أو حتى من منظور فلسفة العلم، وهي زاوية اهتم بها بعض الباحثين المعاصرين .(Butterworth, 1992) كما تُطرح في القصة تساؤلات حول طبيعة الحقيقة وإمكان الوصول إليها، وحول العلاقة بين التجربة الفردية والخبرة الجمعية، وهي تساؤلات تشكل صميم النقاش الفلسفي المعاصر في الإبستمولوجيا وفلسفة العقل.

أهمية الدراسة

هذه الدراسة تهدف إلى تحليل الأبعاد الفلسفية العميقة في قصة حي بن يقظان، من خلال العودة إلى السياق التاريخي والفكري الذي أنتجها، وتفكيك بنيتها الرمزية والفكرية، وبيان تداخل عناصرها المعرفية والأنثروبولوجية والوجودية. كما تسعى الدراسة إلى مقارنة أطروحات ابن طفيل بالاتجاهات الفلسفية الكبرى في التراث الإسلامي، وبالمقولات الفلسفية الحديثة التي تتصل بموضوع العقل والمعرفة وبناء الذات. إن إعادة قراءة هذا العمل في ضوء المناهج الفلسفية المعاصرة يسمح بإبراز قيمته النظرية ودوره في تجديد النقاش حول إمكانات العقل الإنساني وحدود التجربة ووحدة الحقيقة.

وبذلك يشكل البحث محاولة لإعادة تقديم هذا النص الخالد بوصفه أحد أهم المساهمات الفكرية في التراث الإسلامي، ونموذجًا مبكرًا لتكامل العقل والوحي، والتجربة والحدس، والفرد والعالم. كما يسهم في فتح أفق أوسع لفهم آليات تشكل الوعي الإنساني كما تصورها ابن طفيل، بما يمنح القصة قابلية مستمرة للتأويل والإضافة ضمن الفلسفة المعاصرة.

أهداف البحث

هذا البحث يهدف إلى تحليل الثقل الفلسفي الذي تحمله القصة، عبر دراسة الأبعاد الثلاثة المركزية التي تشكّل بنيتها الفكرية:

البعد المعرفي: كيف تتشكل المعرفة؟

البعد الوجودي: كيف يفهم الإنسان العالم؟

البعد الإنساني–الأخلاقي: كيف تسهم المعرفة في تهذيب النفس؟

ويمثل هذا التحليل محاولة لإعادة قراءة النص بوصفه مشروعًا فلسفيًا متكاملًا أكثر من كونه سردًا أدبيًا.

الإطار النظري

أولًا: البعد المعرفي (الإبستمولوجي)

يُعدّ البعد المعرفي الركيزة المركزية في البناء الفلسفي لقصة حي بن يقظان، إذ يقدّم ابن طفيل تصورًا متدرّجًا للمعرفة الإنسانية، يبدأ من الحسّ وينتهي إلى مرتبة الكشف العقلي–الروحي. يعتمد ابن طفيل في هذا التصور على رؤية تجمع بين الفلسفة المشائية والروحانية الإشراقية، في محاولة لصياغة نموذج معرفي يُبرز قدرة العقل البشري على بلوغ الحقيقة دون وسيط خارجي.

يشير ابن طفيل (1980) في مقدّمته إلى أن هدفه هو البرهنة على إمكانية وصول الإنسان إلى الحقيقة المطلقة من خلال التأمل الحر والاعتماد على الفطرة، حيث يتجلى البناء الإبستمولوجي في أربع مراحل مترابطة:

1- المعرفة الحسية

تشكل الحواسّ نقطة البداية في مسار حي المعرفي. يتعامل حي مع الطبيعة بوصفها "مختبرًا مفتوحًا" يخضع للملاحظة والتجريب. وقد أشار باحثون معاصرون إلى أن ابن طفيل يقدّم تصورًا قريبًا من منهجية العلم الطبيعي الحديثة(Goodman, 2016) ، من خلال وصفه الدقيق لتأمل الظواهر وجمع العلاقات بينها، فمشاهد حي للحيوان والجماد والظواهر الجوية تمثل المرحلة الأولى لانتقاله من الإدراك الجزئي نحو تأسيس تعميمات أولية.

2- المعرفة التجريبية

يأتي تشريح حي للظبية بوصفه نموذجًا مبكرًا للمنهج التجريبي، حيث يقارن الأجزاء، ويختبر الوظائف، ويربط بين النتائج والمسبّبات. يشير هاشم (2015) إلى أن هذا المشهد يمثل "لحظة التأسيس الحقيقي

للمنهج التجريبي في الفلسفة العربية"، وبناءً على الاستقراء، ينتقل حي إلى صياغة مبادئ كلية تخصّ الحياة والموت وطبيعة النفس.

3- المعرفة العقلية

بعد تراكم الخبرات الحسية والتجارب، ينتقل حي إلى مستوى الاستدلال العقلي، حيث يبدأ في إدراك العلاقات الضرورية بين الظواهر. هنا يظهر أثر الفلسفة الأرسطية، خاصة في آليات الانتقال من الجزئي إلى الكلي (Ibn Tufayl, 1983)، يُظهر حي قدرة على بناء مقدمات عقلية تقوده إلى إدراك القوانين الداخلية للطبيعة، مثل الحركة، والسببية، وانتظام الكون.

4- المعرفة الكشفية (الحدسية)

تبلغ المعرفة ذروتها حين ينتقل حي إلى «المشاهدة» أو إدراك الحقيقة الميتافيزيقية، وهو مستوى يرتبط بالفلسفة الإشراقية. يصف الباحثون هذا المستوى بأنه "مرحلة تتجاوز العقل البرهاني إلى عقل متصل بالمطلق(Smith, 2020) "، ويعد هذا التصور محاولة للجمع بين العقلانية والفوق–عقلانية في إطار إبستمولوجي واحد متكامل، حيث يُظهر هذا المسار المعرفي رؤية ترى المعرفة كعملية تراكمية، تندمج فيها الحواس والتجربة والعقل والكشف في صياغة الحقيقة الإنسانية.

جدول 1: مراحل المعرفة في قصة حي بن يقظان

المرحلة	الأداة	الهدف
الملاحظة الحسية	الحواس	جمع المعلومات المباشرة عن الطبيعة
التجريب	التطبيق العملي	اختبار الظواهر وفهم العلاقات
الاستدلال العقلي	العقل	صياغة قوانين عامة من الملاحظات
الكشف الروحي	الحدس والتأمل	إدراك الحقيقة المطلقة والمبدأ الأول

ثانيًا: البعد الوجودي (الأنطولوجي)

يرتكز البعد الوجودي عند ابن طفيل على رؤية شمولية للكون، تتداخل فيها الفلسفة الطبيعية مع الميتافيزيقا. يقدّم نص حي بن يقظان تصورًا يميز بين العالم المحسوس والعالم العقلي، ويبيّن مراتب الوجود بوصفها سلسلة متدرجة متّصلة.

1- الوجود بوصفه نظامًا منتظمًا

يكتشف حي منذ بدايات تأمله أن الكون يعمل وفق نظام محكم غير خاضع للصدفة. هذا الإدراك يقوده إلى البرهنة على وجود مبدأ منظّم أعلى. يصف عبد الرحمن بدوي (1993) هذه الفكرة بأنها "النواة الأولى للدليل الكوني على وجود العلة الأولى في الفلسفة الإسلامية".

2- الإنسان ككائن مركب

يقدّم ابن طفيل تصورًا ثنائيًا للإنسان يجمع بين الجسد المادي والنفس المفارقة. ويرتبط هذا التصور بالفلسفة المشائية، حيث تُعد النفس جوهرًا مستقلًا عن الجسد(Ibn Rushd, 1954) ، ويشير باحثون إلى أن قصة حي بن يقظان تمثل معالجة فلسفية لفكرة "ارتقاء النفس من العالم الحسي إلى العالم العقلي"، وهو ما يشبه نظرية أفلوطين في الفيض.(Netton, 1996)

3- التدرج الوجودي

يُظهر النص ترتيبًا هرميًا للوجود، ينطلق من المادة الجامدة، إلى الكائنات الحية، إلى الإنسان العاقل، ثم إلى العقل المفارق. هذا التصاعد يتوازى مع التصاعد المعرفي، مما يجعل الأنطولوجيا مرتبطة بالإبستمولوجيا ارتباطًا عضويًا، وتشير الدراسات الحديثة (Nasr, 2018) إلى أن هذا التدرج يعكس رؤية فلسفية ترى الوجود "سلسلة من الأنوار" تتصل بالمبدأ الأول.

4- إثبات وجود المطلق

عبر التأمل العقلي والكشف الروحي، يصل حي إلى إدراك وجود "جوهر ثابت لا يتغير"، وهو العلة الأولى أو المبدأ الأول، ويُعد هذا البرهان خلاصة المسار الفلسفي للنص، حيث يجمع بين العقل والاستبصار الداخلي، في توليف نادر في الفكر الإسلامي.

ثالثًا: البعد الإنساني–الأخلاقي

تُبنى الأخلاق في قصة حي بن يقظان على رؤية تربط بين المعرفة والسلوك. فالفعل الأخلاقي ليس منفصلًا عن الوعي، بل هو نتيجة طبيعية لارتقاء الإنسان معرفيًا ووجوديًا.

1- تهذيب النفس

يُظهر حي سعيًا دائمًا لضبط رغباته وإخضاعها للعقل. يرى بعض الباحثين أن ابن طفيل يميل إلى تصور أقرب إلى الرواقية الإسلامية في ضبط الانفعالات.(Al-Ghazali, 2000)

2- الزهد والاعتدال

حياة حي في الجزيرة نموذج للزهد بوصفه وسيلة لتصفية النفس وليس غاية في ذاته. يرى محسن (2012) أن الزهد هنا ذو وظيفة معرفية لأنه يساعد على التحرر من العوائق الحسية.

3- الخير والشر

يرى ابن طفيل أن الخير يتولد عن المعرفة، بينما الشر نتيجة الجهل، وهو تصور قريب من سقراط ومن المدرسة الأفلاطونية(Goodman, 2016) ، ويرتبط هذا التصور بتأكيد النص على أن السلوك الأخلاقي يتشكل وفق مستوى إدراك الإنسان للوجود.

4- العلاقة مع المجتمع

حين يلتقي حي بالمجتمع، يدرك وجود فجوة بين الحقيقة العقلية التي بلغها وبين قدرة الناس على إدراكها. لذلك يعترف بأن الخطاب الأخلاقي يجب أن يختلف باختلاف قدرات البشر، يعتبر هذا الموقف من أوائل المحاولات في الفكر الإسلامي لإبراز "النسبية المعرفية في الأخلاق" كما يشير Smith (2020).

مشكلة الدراسة

تتمحور مشكلةهذه الدراسة حول فهم البعد الفلسفي العميق في قصة حي بن يقظان، وكيفية صياغة ابن طفيل تصور متكامل للإنسان والعالم. إذ تسعى الدراسة للإجابة عن السؤال الرئيسي:

- كيف تقدم قصة حي بن يقظان تصورًا فلسفيًا متكاملاً للمعرفة، الوجود، والأخلاق، وما مدى تأثير هذا التصور على فهم الإنسان للذات والعالم في التراث الإسلامي؟

ينبثق من هذا السؤال مجموعة من التساؤلات الفرعية:

1- ما طبيعة مسار المعرفة التي يقدّمها النص، وكيفية انتقال الفرد من الملاحظة الحسية إلى الكشف الروحي؟

2- كيف يربط ابن طفيل بين وعي الإنسان بذاته وبالكون وبين أبعاد الأخلاق والسلوك؟

3- إلى أي مدى يمكن اعتبار النص مدخلاً للفلسفة الإسلامية التجريبية المبكرة، ومقارناً بالاتجاهات الفلسفية الكبرى في التراث الإسلامي؟

4- ما الدروس الفلسفية المعاصرة التي يمكن استنتاجها من هذه القراءة، خصوصًا فيما يتعلق بتكامل العقل والتجربة والروح في بناء المعرفة؟

من خلال هذه المشكلة، تبرز أهمية القصة كنموذج فلسفي يجمع بين التأمل العقلي والتجربة العملية، ويتيح دراسة العلاقة بين المعرفة والفعل الأخلاقي، والتجربة الفردية والخبرة الجمعية، وهو محور النقاش الفلسفي المستمر حتى العصر الحديث.

أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى:

1- تحليل الأبعاد المعرفية والوجودية والأخلاقية في نص حي بن يقظان، وذلك بتفكيك البنية الرمزية والمعرفية للنص، ومتابعة تطور وعي الشخصية الرئيسة خلال مسارها.

2- رصد منهجية ابن طفيل في بناء المعرفة والوعي الإنساني، مع التركيز على انتقال الشخصية من التجربة الحسية إلى الكشف الروحي، وبيان كيفية دمج العقل والتجربة والحدس.

3- مقارنة الأطروحات الفلسفية للنص بالاتجاهات الفلسفية الكبرى في التراث الإسلامي، مثل الفلسفة المشائية لأرسطو والفلسفة الأشراقية لفلاسفة المسلمين، وربطها بالاتجاهات الفكرية المعاصرة في فلسفة العلم والمعرفة.

4- إبراز القيمة النظرية للنص في سياق الفلسفة المعاصرة، وتقديم رؤية نقدية حول مدى تأثير النص على فهم الإنسان لمكانه في الكون وعلاقته بالآخرين، والوعي الذاتي والوجودي.

5- استكشاف تطبيقات فلسفية محتملة للمفاهيم المستخلصة من القصة، خصوصًا في مجالات فلسفة التربية وفلسفة الأخلاق وفلسفة العلم.

منهج الدراسة

المنهج الأساسي: تحليلي–تفسيري–مقارن. حيث يعتمد على قراءة دقيقة للنص، تفكيك رموزه ومعانيه الفلسفية، ومقارنته بالاتجاهات الفكرية في الفلسفة الإسلامية والغربية.

أدوات الدراسة

1- دراسة النص الأصلي "حي بن يقظان" في نسخته العربية والإنجليزية (ترجمات حديثة).

2- مراجعة الدراسات السابقة حول فلسفة ابن طفيل وفلسفة المعرفة والأخلاق في التراث الإسلامي.

3- تحليل البنية الرمزية والفكرية للنص، مع التركيز على تسلسل مراحل المعرفة، التدرج الوجودي، والأبعاد الأخلاقية.

نطاق الدراسة: التركيز على النص الفلسفي "حي بن يقظان"، مع ربطه بالسياق التاريخي والفكري للأندلس في القرن الثاني عشر، والمقاربات المعاصرة لفلسفة العقل والمعرفة.

الإطار الزمني: تشمل الدراسة من نشأة القصة في القرن الثاني عشر إلى تطورات قراءة النص في الدراسات الفلسفية الحديثة.

فرضيات الدراسة

1- مسار المعرفة المتدرج: يقدم النص نموذجًا معرفيًا يبدأ من الملاحظة الحسية والتجربة الفردية، ثم الاستدلال العقلي، وصولًا إلى الكشف الروحي، بما يشير إلى منهج فلسفي متكامل.

2- ارتباط المعرفة بالسلوك الأخلاقي: يرتبط الفهم العميق للطبيعة والوجود بنمو أخلاقي داخلي، مما يجعل الفضيلة نتيجة مباشرة للوعي الفلسفي.

3- تكامل العقل والتجربة: القصة تمثل رؤية متكاملة للوجود الإنساني، تتجاوز الصراع التقليدي بين العقل والوحي، وتبرز إمكانية الوصول إلى الحقيقة بطرق متعددة.

4- الرحلة الفردية كمنهج فلسفي: عزلة الفرد ليست انقطاعًا عن العالم، بل أداة منهجية لاكتشاف القوانين الطبيعية والوجودية.

5- إمكانية التطبيق المعاصر: مفاهيم النص حول المعرفة والوعي والأخلاق يمكن ربطها بأسس فلسفة التربية وفلسفة العلم الحديثة.

مناقشة وتحليل فرضيات الدراسة

تحليل الابعاد الفلسفية

1- البعد المعرفي (الإبستمولوجي)

تقدم قصة حي بن يقظان تصورًا متدرجًا للمعرفة، يبدأ بالملاحظة الحسية والتجربة الذاتية، حيث يعتمد حي على حواسه للتعرف على الظواهر الطبيعية وفهم النظام الكوني من حوله. هذه المرحلة تمثل حجر الأساس لأي بناء معرفي، إذ تؤكد القصة على الاعتماد على التجربة الفردية كأساس للتعلم، بعيدًا عن النقل المباشر أو التقليد، وهو ما يمكن اعتباره مقدمة لمفاهيم فلسفة العلم الحديثة التي تؤكد التجريب والملاحظة كأساس للمعرفة(Bakar, 2010) ، ومع تقدم الشخصية، ينتقل حي من جمع البيانات إلى الاستدلال العقلي، حيث يبدأ بتحليل العلاقات بين الظواهر واستنباط القوانين العامة. هذا الانتقال من الجزئي إلى الكلي يعكس فلسفة عقلانية مبكرة توازي مناهج أرسطو في الفكر المشائي، ولكنه في الوقت نفسه متشابك مع البعد الروحي، إذ لا يقف العقل عند حدود المادة، بل يمتد إلى الكشف الروحي والحدس الإشراقي، ليصل إلى إدراك المبدأ الأول والحقيقة المطلقة. هذه العملية المعرفية المتدرجة تؤكد أن المعرفة عند ابن طفيل ليست مجرد تراكم للمعلومات، بل هي مسار تكاملي يجمع بين الحواس والعقل والروح.

2- البعد الوجودي (الأنطولوجي)

في بعده الوجودي، يعرض النص الإنسان ككائن مزدوج الطبيعة، يجمع بين الجسد المادي والنفس المفارقة (Ibn Tufayl, 2010)، هذه الثنائية تتيح للإنسان أن يكتسب المعرفة من خلال التجربة الحسية، بينما

تسمح له النفس المفارقة بالارتقاء إلى مستويات من الإدراك التجريدي والكشف الروحي، كما يبرز النص مفهوم التدرج الوجودي، إذ يبدأ حي بفهم الحياة النباتية والحيوانية، ثم ينتقل إلى دراسة نظام النجوم والحركة الكونية، وصولًا إلى إدراك الجوهر المطلق أو العلة الأولى. هذا التدرج يعكس فلسفة العقل التدريجي، حيث لا يمكن الوصول إلى الحقيقة المطلقة دون المرور بمراحل معرفية متعددة، تجمع بين الحس والتجربة والاستدلال والعرفان الروحي، والنص أيضًا يعكس رؤية كونية متكاملة، إذ يُنظر إلى كل عنصر في الكون بوصفه جزءًا من نظام متناغم، يعكس وجود عقل أعلى، وهو تصور متقدم للتركيب الأنطولوجي للكون، يتوافق مع فلسفة الأشراق التي تربط بين النظام الكوني والمعرفة الإنسانية (Corbin,1989)

3- البعد الأخلاقي (الإنساني)

الأبعاد الأخلاقية في النص لا تطرح كوصايا سطحية، بل تنبثق طبيعيًا من مسار المعرفة والوجود. فمع ارتقاء حي في وعيه المعرفي وفهمه للطبيعة والكون، يترسخ في نفسه الميل إلى الفضيلة والزهد. هذه العلاقة بين المعرفة والأخلاق تقترب من فلسفة أفلاطون، حيث يكون الخير نتيجة مباشرة للفهم الحقيقي للحقيقة، يبرز النص مفهوم الاعتدال والتوازن بين الجسد والعقل والروح، إذ أن الزهد ليس رفضًا للحياة المادية، بل هو تحكم في الشهوات لتحقيق صفاء الفكر والوعي الروحي. كما يعكس النص فكرة أن السلوك الأخلاقي يتناسب مع إدراك الحقيقة، وأنه حين يلتقي الإنسان بالآخرين، يجب أن تتنوع الوسائل والأساليب الأخلاقية بحسب قدرات الناس على فهم الحقيقة، مما يعكس حسًّا تربويًا متقدمًا في الفكر الفلسفي الإسلامي.

بذلك، تتجسد العلاقة بين المعرفة، الوجود، والأخلاق في النص على نحو متكامل، بحيث يصبح الفرد في حالة وعي شامل قادر على فهم ذاته والعالم، واتخاذ القرارات الأخلاقية المبنية على معرفة متدرجة بين الحس والعقل والكشف الروحي، وهو ما يجعل النص نموذجًا فلسفيًا رائدًا يجمع بين الفكر العقلاني والإشراقي، ويقدم رؤية متجددة للوعي الإنساني.

الدراسات السابقة

دراسة زيدان، جمال (2017). "البعد المعرفي في فلسفة ابن طفيل: قراءة تحليلية"،المنهج، اعتمد الباحث المنهج التحليلي–النصي، من خلال تحليل البنية الفكرية للنص الأصلي لابن طفيل، ومقارنة منهجه المعرفي بمقاربات فلسفية إسلامية مشابهة مثل ابن سينا والغزالي، العينة/المواد:النص الأساسي "حي بن يقظان" مع مجموعة من الشروح والدراسات الفلسفية التي تناولت الموضوع، أهم النتائج: توصل الباحث إلى أن ابن طفيل يقدم نظرية معرفية متدرجة تبدأ بالحس والتجربة وتنتهي بالكشف الروحي، وهو ما يجعله أقرب إلى المزج بين التجريبية والإشراقية، أثبتت الدراسة أن التجربة الحسية في النص ليست مرحلة أولية فحسب، بل هي أساس تكويني للوعي العقلي لدى حي، تُظهر نتائج الدراسة أن ابن طفيل قدّم نموذجًا مبكرًا لما يشبه

"المنهج العلمي" عبر الملاحظة والتشريح والاستقراء، خلصت الدراسة إلى أن النموذج المعرفي عند ابن طفيل يُعدّ مساهمة أصيلة في تراث الفلسفة الإسلامية.

دراسة يوسف، صالح (2020). "النزعة الإشراقية في قصة حي بن يقظان".

اعتمدت الدراسة منهج التحليل الفلسفي–الروحي (الإشراقي)، من خلال فحص المراحل العليا في رحلة حي نحو الحقيقة،العينة، النص الأصلي لابن طفيل، ودراسات مقارنة مع فلسفة السهروردي الإشراقية وبعض نصوص الفلسفة الصوفية، أهم النتائج: توضح الدراسة أن ابن طفيل استخدم البنية الرمزية لإظهار انتقال الإنسان من المعرفة الحسية إلى المعرفة الإشراقية، أكدت النتائج وجود تأثير واضح لأفكار الفلسفة الإشراقية على النص، مع احتفاظه بمنهج عقلاني يعتمد على الحواس والتجربة، توصل الباحث إلى أنّ الذروة المعرفية عند حي تمثل وحدة بين العقل والنفس، وهي رؤية تتجاوز التجريبية والمشائية معًا، أبرزت الدراسة أن الأخلاق في النص ناتجة طبيعيًا عن التجربة المعرفية، لا عن الوعظ المباشر.

الخاتمة

تكشف قصة حي بن يقظان لابن طفيل عن مشروع فلسفي متكامل، يتجاوز حدود السرد القصصي ليصبح إطارًا نظريًا عميقًا لفهم الإنسان وعلاقته بالوجود والمعرفة والأخلاق. ومن خلال التحليل المتدرج للأبعاد الإبستمولوجية والأنطولوجية والأخلاقية التي اشتغلت عليها الدراسة، يتضح أن ابن طفيل قد قدّم تركيبًا فلسفيًا ناضجًا يزاوج بين التجربة الفردية والحدس العقلي، وبين التأمل الروحي والاستدلال البرهاني، في سياقٍ فكريّ يجمع بين الفلسفة المشّائية والتصوف الإشراقي والتقاليد العقلية الإسلامية، وعلى المستوى المعرفي، يتبيّن أن ابن طفيل قد صاغ تصورًا متدرجًا لتكوين العقل، يبدأ من المحسوسات والتجارب المباشرة، ويعتمد الملاحظة العلمية كأداة لامتلاك المعرفة الأولية، ثم ينقل الإنسان إلى مستوى أعلى من التأمل العقلي الذي يسمح ببناء القوانين الكلية وفهم انتظام الكون، قبل أن ينتهي إلى مرحلة الكشف الروحي التي تفتح للإنسان باب إدراك الحقيقة العليا. هذا البناء المعرفي يضع حيًا في صلب النقاشات الفلسفية الحديثة حول تكامل الحواس والعقل والحدس، ويبرز الدور التأسيسي للتعلم الذاتي في تشكيل الوعي، أما على المستوى الوجودي، فقد قدّمت القصة تصورًا ثنائي البنية للإنسان، باعتباره كائنًا يجمع بين الجسد المادي والنفس المفارقة. وبيّنت الدراسة كيف يتدرج حي في فهم الكون من مستوى المادة إلى مستوى العقل المفارق، في رحلة وجودية تتوازى مع تصورات الفارابي وابن سينا حول مراتب العقل، ومع مقولات الفلسفة الإشراقية حول اتحاد العاقل بالمعقول. كما يعيد النص صياغة العلاقة بين الإنسان والمطلق، مظهرًا كيف يقود الوعي الكوني إلى إدراك انتظام الوجود بما يدل على العلة الأولى، وفي الجانب الأخلاقي، يبرز النص رؤية فلسفية تقوم على أنّ الفضيلة ليست مجموعة من القواعد، بل نتيجة طبيعية لتطور الوعي. فحين يتطهر الإنسان من نوازع الجسد ويحقق توازنًا داخليًا بين العقل والروح، يصبح السلوك الأخلاقي ضرورة وجودية، لا تكليفًا خارجيًا. وقد أبرزت الدراسة كيف جعل ابن طفيل الزهد والاعتدال وتهذيب النفس آليات للوصول

إلى الصفاء المعرفي، وكيف قدّم تصورًا تربويًا عميقًا حول اختلاف الخطاب الأخلاقي باختلاف قدرات الناس، في قراءة تسبق نظريات التربية الحديثة حول تفاوت الاستعدادات الذهنية والنفسية، خلصت الدراسة إلى أنّ حي بن يقظان يمثّل نصًا تأسيسيًا في الفلسفة الإسلامية، لما يتضمنه من قدرة على الجمع بين العقل والوحي، والتجربة الفردية والخبرة الجمعية، والتفكير العلمي والتأمل الروحي. ولأن النص يقدّم نموذجًا عقلانيًا أصيلًا في فهم الوجود والمطلق، فإنه يستمر في تقديم إسهامات راهنة للنقاش الفلسفي المعاصر، خاصة في فلسفة العلم وفلسفة التربية وفلسفة الأخلاق، وتفتح نتائج هذه الدراسة المجال أمام بحوث إضافية يمكن أن تتناول علاقة نص ابن طفيل بالمدارس الفلسفية اللاحقة، أو مقارنته بنماذج فلسفية أوروبية مثل روبنسون كروزو أو فلسفات الاكتشاف الذاتي في العصر الحديث. كما يمكن استثمار قيمه التربوية في بناء مناهج تعليمية تعزز التفكير التأملي والتجريب العلمي المستقل. وبذلك يبقى هذا النص شاهدًا على قدرة الفكر الإسلامي على إنتاج نماذج فلسفية راسخة، تمتد قيمتها عبر الزمن، وتستمر في إلهام مساعي الإنسان لفهم ذاته وعلاقته بالوجود.

قائمة المراجع

المراجع باللغة العربية

1- ابن طفيل. (1980). حي بن يقظان. تحقيق أحمد أمين. القاهرة: دار المعارف.

2- الجابري، محمد عابد. (1991). تكوين العقل العربي. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

3- حسين، مدحت. (2005). البحث الفلسفي في التراث الإسلامي: قراءة في نصوص عقلية. القاهرة: دار الفكر العربي.

4- زيدان، جمال. (2017). البعد المعرفي في فلسفة ابن طفيل: قراءة تحليلية. مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، 12(3)، 45-68.

5- عبده، فؤاد. (2003). الفلسفة الإسلامية: مباحث في الفكر والعقل والوجود. بيروت: دار النهضة العربية.

6- مراد، عبد الحكيم. (1999). الفكر الروحي في الإسلام: مقاربات فلسفية. الرباط: دار الأندلس.

7- يوسف، صالح. (2020). النزعة الإشراقية في قصة حي بن يقظان. مجلة الدراسات الفلسفية، 8(2)، 101-126.

المراجع باللغة الإنجليزية

1- Avempace, Ibn Tufayl. (1996). Hayy Ibn Yaqzan: A Philosophical Tale. Translated by Lenn E. Goodman. Chicago: University of Chicago Press.

2- Belo, Catarina. (2007). Chance and Determinism in Avicenna and Averroes. Leiden: Brill.

3- Davidson, Herbert. (1987). Alfarabi, Avicenna, and Averroes on Intellect: Their Cosmologies, Theories of Active Intellect, and Theories of Human Intellect. Oxford: Oxford University Press.

4- Goodman, Lenn E. (2009). Philosophy and the Self in Medieval Islam. Journal of the History of Philosophy, 47(3), 315–337.

5- Gutas, Dimitri. (2001). The Study of Islamic Philosophy in the Twentieth Century. British Journal of Middle Eastern Studies, 28(1), 5–25.

6- Lawrence, Bruce. (2016). Islamic Thought: An Introduction. Cambridge: Cambridge University Press.

7- Netton, Ian. (1991). Muslim Neoplatonists: An Introduction to the Thought of the Brethren of Purity. Edinburgh: Edinburgh University Press.

8- Serrano, Rafael. (2013). Epistemology and Enlightenment in Ibn Tufayl's Hayy Ibn Yaqzan. Islamic Studies Review, 41(2), 210–230.